

## الحلقة (٣٠)

فالايتان التي معنا الآن الـ (٩٦-٩٧) قوله تعالى: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا قَامَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}

سنتكلم العنصر الأول: القراءات في قول الله عز وجل (حج البيت) أو (حج البيت) قراءتان، ثم نأتي للعنصر الثاني لبعض المفردات التي تحتاج إلى وقفة، ثم بعد ذلك العنصر الثالث الإعراب إذا كان هناك إعراب لبعض الآيات نأتي على الإعراب، العنصر الرابع: الأحكام، والخامس هو التفسير الإجمالي .

{حِجُّ الْبَيْتِ} فيها قراءتان ، قرأ حفص عن عاصم وحمة و الكسائي " الأخوان " بكسر الحاء {حِجُّ الْبَيْتِ} وقرأ الباقون بالفتح {حِجُّ الْبَيْتِ} وهما لغتان

### بعض المفردات:

{بِكَّةَ}: أسماء مكة كثيرة من أشهرها بكة، مكة، البلد الحرام ، قداس ، البلد الأمين ، أم القرى وإلا فقد جعل لها المئين من الأسماء إذ تعدد المعاني والعبارات يدل على شرف المسمى.

"بككة" مشتقة من البك وهو الازدحام قالوا: "تباك القوم" أي: ازدحموا وسميت "بككة" لازدحام الناس في موضع طوافهم و"البك" هودق العنق أو من الازدحام وكلا المعنيين صحيح

قوله تعالى {مَقَامُ} : قمت مقاما وهذا الموضع الذي قمت فيه والمقام من قولك أقمت المقام هو المكان، ومقام ومقام لغتان ،

### ❖ نأتي إلى الإعراب:

❶ قوله تعالى: {لَلَّذِي بِبَكَّةَ} خبر إن، {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ} هذه الجملة خبر إن، واللام للتوكيد {لَلَّذِي} لام التوكيد.

❷ قوله تعالى: {بِكَّةَ مُبَارَكًا} نصب على الحال من المضمر في {وُضِعَ}.

❸ {وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ} عطف عليه.

❹ {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ} رفع بالابتداء أو بالصفة.

❺ {مَقَامُ} ارتفع على الابتداء، والخبر محذوف والتقدير: منها {مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ} قيل: {مَقَامُ} بدل من آيات.

❻ قوله تعالى: {مَنِ اسْتَطَاعَ} {مَنِ} في موضع خفض على بدل البعض من الكل، هذه بعض الأعراب كما ذكرنا في العناصر.

### ❖ أما الأحكام الفقهية:

❶ قوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} {وَلِلَّهِ} اللام للإيجاب والإلزام، ثم أكد بعدة بقوله: {عَلَى} التي هي أؤكد ألفاظ الوجوب عند العرب، ولا خلاف في فريضته، أي أن الحج فرض على من استطاع إليه سبيلاً، على تفصيل عند الفقهاء ما المراد بالاستطاعة؟ هل الزاد والراحلة وللقوة؟ هذا كله مبثوث عند أهل الأحكام.

❷ وقد دل الكتاب والسنة على أنه على التراخي لا على الفور.

❸ {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} أيضاً كما يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره: إن هذه الآية

هي أول آية فيها وجوب الحج، لم قال هذا؟ لأن هناك آية في سورة البقرة وهي قول الله عز وجل: {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ} قيل إن هذه الآية التي في البقرة: أول آية في الفرض، لكن ابن كثير استظهر أن هذه التي

معناها هي أول آية في الفرض.

آية أخرى من آيات هذه السورة الكريمة ولها علاقة بقضية الجريمة الشنيعة التي حاربها الإسلام ولا زال يحاربها وهي جريمة الربا، وهو قول الله عز وجل: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}** هذه الآيات هي (١٣٠-١٣٢) آل عمران.

ليس هناك من كثير قول فيها، لأن أكثر الجزئيات قد سبق في آية الربا عند قول الله عز وجل: **{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا}** من حيث تعريفه... الخ، ولكننا نمر هنا مرور الكرام مستهدين ومنطلقين إلى آية قادمة بإذنه تعالى إذن **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}**

### ❁ نأتي للإعراب:

**{أَضْعَافًا}** هذه اللفظة حال.

**{مُضَاعَفَةً}** صفة لـ **{أَضْعَافًا}** والمبالغة في هذه العبارة تفيد تأكيد التوبيخ.

طبعاً الربا من حيث تعريفه اللغوي والاصطلاحي والمجالات التي يدخلها الربا هذا كله عشنا معه في قول الله تعالى: **{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ}** فإذا هاتان الآيتان أغلب ما يتعلق بهما من مباحث وجزئيات قد مرت في آية الربا.

نأتي لآية وهي قول الله عز وجل -ونذكر لا زلنا في سورة آل عمران- وهي قول الله عز وجل: **{وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}** الآية ١٦١ من سورة آل عمران.

يعني هذه الآية حقيقة دائماً القرآن كما يسمى عادة القرآن أو معهود القرآن أنه يضع النقاط على الحروف دونما مؤاربة.

❁ يعني يُبدأ أحياناً الخطاب موجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ونحن المقصودون.

❁ وأحياناً شيء يخص الرسول صلى الله عليه وسلم خاص به **{تُرْجَى مِنْ نَشَأٍ مِنْهُمْ وَتُؤَيَّ إِلَيْكَ مَنْ نَشَأَ}**.

❁ وأحياناً قد يكون الحدث من الرسول صلى الله عليه وسلم تعليمياً لأئمة فيتنازل القرآن معلماً هذه الأمة، قال الله عز وجل: **{عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ}** إذن الرسول صلى الله عليه وسلم أذن لأولئك المتعذرين فنزل القرآن موجهاً **{لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ}**، عتاب لطيف شريف خفيف، فإذا هذه الآية يمكننا جعلها ضمن تلك الآيات **{وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}**.

### ❁ المناسبة:

السورة جلها في غزوة أحد، فلما أخل الرماة يوم أحد بمراكزهم خوفاً من أن يستولي المؤمنون على الغنيمة فلا يصرف إليهم شيء، بين الله تعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز في القسمة، فما كان من حرككم أن تتهموه صلى الله عليه وسلم. إذن هذا وجه من وجوه المناسبات.

### ❁ سبب النزول:

نزلت بسبب قطيفة حمراء فقدت من المغانم يوم بدر، فقال بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها، فنزلت، قال الترمذي هذا حديث حسن غريب، في واقع الأمر تجدون أسباب متعددة بنزول الآية، وجلها يغلب عليها الاجتهاد، ولكن ما ذكرناه نظراً إلى أنه مسند ولأن الترمذي رحمه الله تعالى بين درجته هذا السبب هو الأظهر.

## ❁ القراءات:

❁ قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ} قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم: {يَغُلَّ} بفتح الياء والرفع في الغين، على معنى (يخون هو)، يعني هو الذي يباشر الفعل {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ} إذن هذه القراءة توجيهها كذا (يخون).

❁ وقراء نافع المدني، وحمة الكوفي والكسائي الأخوين، وابن عامر: {أَنْ يَغُلَّ} بضم الياء وتوجيه هذه القراءة على معنى (يُخَوِّن)، فإذن النبي وأي نبي لا يخون ولا يجوز لمتبعيه أَنْ يُخَوِّنُوهُ، هذه الأمور قد يفعلها العوام، أما هو أياً كان هذا النبي عليهم الصلاة والسلام أجمعين فلا يخونون ولا يُخَوِّنُونَ، لا هذا ولا ذاك، {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ} أو {أَنْ يَغُلَّ} {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} يأتي هذا الغال هذا المختلس الذي غير الأنبياء، لأننا اتفقنا أن الأنبياء لا يخونون ولا يُخَوِّنُونَ، لا يأخذون ولا يعتقد أحد أنهم يأخذون، فعامة الناس من يأخذ شيئاً فيأتي به يوم القيامة كما صح عنه الخبر صلى الله عليه وسلم: (ألا لا ألفين رجل من أمتي يحمل بعيراً له رغاء...) الخ الحديث بطوله.

## ❁ المفردات:

❁ {يَغْلُلْ} غلَّ يغُلُّ غلواً إذا أخذه في خفاء، وأغل الرجل: خان، والغلل الماء الجاري في أصول الشجر، سمي بذلك لأنه مستتر بالأشجار، والغال: أرض طامنة وذات شجر.

❁ ومعنى الآية: نهى الناس عن الغلول في الغنائم والتوعد عليه، وكما لا يجوز أن يخان النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز أن يخون غيره، ولكن خصه بالذكر لأن الخيانة معه أشد وقعاً وأعظم وزراً، لأن المعاصي تعظم بحضرة صلى الله عليه وسلم لتعني توقيره، والولاء إنما هم على أمر النبي صلى الله عليه وسلم فلهم حظهم من التوقير.

هذا الكلام موجود عند القرطبي، وهو كلام نفيس، فطالما الأصل أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يخون ولا يُخَوِّن، وطالما الولاية الأمراء السلاطين المسلمون أيضاً لهم حق التقدير، صحيح أنه ليس التقدير الذي ينبغي للرسول صلى الله عليه وسلم ويوقر به الرسول صلى الله عليه وسلم، إنما هم أيضاً ولأنهم ولاية ولأنهم أمناء على أمور الناس فهم لهم أولاً حق التوقير وحق التقدير، وهم أيضاً لا يُخَوِّنُونَ أبداً لأن منصبهم يقتضي ذلك.

❁ قوله تعالى: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} أي يأتي به حاملاً له على ظهره ورقبته، معذباً بحمله وثقله، ومرعوباً بصوته، وموجحاً بإظهار خيانتته على رؤوس الأشهاد، وجاء في الحديث الصحيح: (لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به عند استه) أخرجه الشيخان، يعني الغادر يجعل له لواء يوم القيامة يوضع بجانب حقوقه للمعاملة بالمثل، لأنه غدر وخان في أمره، فالجزء من جنس العمل.

❁ {يَأْتِ بِمَا غَلَّ} أي تشهد عليه يوم القيامة تلك الخيانة والغلول.

## ❁ من الأحكام:

ما الحكم إذا غل الرجل في المغنم ووجد؟ يعني هذا رجل في المعركة أو في عمله غل مثلاً أخذ في خفاء شيئاً عاماً، سواء كان للدولة أم للأفراد ووجد الشيء معه، ما الحكم؟

❁ الذي عليه الجمهور يؤخذ منه ويؤدب ويعاقب بالتعزير ولا يحرق متاعه، هذا رأي الجمهور، يعني الغلة التي أخذها تؤخذ منه، تُكوَّن له لُجَّةٌ يؤدب يعزر، ولكن الشيء المغلول يعاد إلى نصابه للاستفادة، لم؟ لأنه حق عام وليس حق خاص، يعني إذا كان هذا الشيء يستفاد منه في جوانب أخرى أو في الجانب نفسه فلا يحرق ولا يتلف لماذا؟ لأن هذا حق عام.

❁ وذهب الأوزاعي إلى حرق متاعه، ويمكن أن يؤخذ بالرأيين، فإذا كان هذا الإنسان يُوعظ به غيره بأن يُخوف الآخرين فلا بأس أن يتلف ما معه كناية على أن الأمر شديد، وعلى أن العقاب أليم، وأما الجمهور فرأيه هو الرأي المعمول به.

إذن هذه الآية تدلنا دلالة واضحة على أن ما كان لأحد من المسلمين ولا المؤمنين أن يأخذ شيئاً ليس له، سواء في خفاء وهذا هو الأصل، أو في غير خفاء، فمن فعل ذلك ولم يحاسب عليه في الدنيا ونجا في الدنيا، فإن ما أخذه سيكون وبالاً عليه في الآخرة، وسيجعل له لواء زيادة في فضح أمره أمام الملاء، وأي ملاء؟ في الآخرة، ليعلم الجميع أن هذا الإنسان كان غالاً وأنه أخذ هذا الشيء، فجعل له هذا اللواء ليعرف أنه غال وأنه سارق، إذن هذا المعنى العام لهذه الآية.

ولعلنا هذا الكتاب "الأحكام" لا بن العربي أيضاً الأندلسي و"روح المعاني" للألوسي و"تفسير ابن كثير" و"تفسير القاسمي" و"تفسير السعدي" و"تفسير الرازي" إن وجد وقت فهذه هي مراجعنا وهذه هي مصادرنا.